المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-09-2006
الصفحـات : 9
العـــدد : 13971
المسلسل : 68

قضايا الشرق الأوسط

منح الصلح

إن مبادرة سلام الأمير عبدالله في قمة بيروت كانت ولا تزال تمثل حالة عضوية لا لوحدة الصف العربي فحسب بل للوحدة داخل أي بلد عربي ايضاً. فسواء في لبنان أو في فلسطين أو في العراق أو في غيرها من البلدان العربية

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-09-2006 العـــدد : 13971
الصفحـات : 9 المسلسل : 68

■ لكل زمان دولة ورجال، فملك السعودية عبدالله بن عبدالعزيز ورئيس مصر حسني مبارك، وقد عقدا اجتماع قمة في الرياض منذ مدة كانا يجسدان من غير شك شعور الأمة بحدة الظروف التي يمر بها العرب في غير مكان من وطنهم الكبير، وخاصة في ثلاثة أوطان هي لبنان وفلسطين والعراق. وقد أصبحت قضية كل واحد من الثلاثة قضية عالمية تهم الشرق والغرب، القادة والشعوب والأديان والطوائف وأهل الفكر في كل مكان.

ولقد تأسست جامعة الدول العربية بعد لقاء بين الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود والملك المصري آنذاك فاروق. فشكل ذلك منعطفاً في التاريخ العربي، بل شبه ولادة سياسية في زمانها للمنطقة أظهرت الدور الجمعي للعرب الذي تلعبه القاهرة والرياض.

ومرت مؤخراً في سماء العرب والإسلام سحابة داكنة تشكلت من كلمات على لسان البابا الألماني الواصل حديثاً الى مركزه الرفيع قالها في ألمانيا ثم عمد الى شرح ظروفها عكست ظاهرة حساسية ازاء الآخر يشعر بها الغرب والشرق على حد سواء. وذلك حين اقتبس البابا بنديكتوس السادس عشر من مناظرة بين الامبراطور اليوناني مانويل الثاني وعالم فارسي مسلم خلال السنوات التي كان الأتراك المسلمون يحاصرون فيها القسطنطينية وفي المناظرة استشهاد وكلام منسوب الى الشرائع الثلاث أي العهد القديم والجديد والقرآن الكريم. ونقل البابا عن الامبراطور خلال محاضرة في ألمانيا قوله: «إن نشر الإيمان بالعنف أمر يناقض العقل. لأن العنف يناقض العقل. ولأن العنف لا يتفق وطبيعة الله وطبيعة النفس البشرية. وأن الله لا يرضيه الدم.. ومن أراد أن يهدي إنساناً ما إلى الإيمان يفعل ذلك بالكلام الحسن من غير تهديد.» ثم ذكر البابا جملة قالها الامبراطور في مناظرته وهي الجارحة في حق الإسلام. قال الامبراطور اليوناني في حديثه عن العنف مع محاوره الفارسي: «أرني أي خير أتى به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) انه نادى بنشر الدين بالسيف». يقول هذا الكلام الامبراطور المسيحي الواقع تحت الحصار التركي عام ١٣٩٤ ميلادية. ثم عاد البابا والفاتيكان لتوضيح هذا الكلام والإعراب عن الأسف لما سببه من تضايق وغضب مشروع بين المسلمين.

جاء هذا الكلام بعد قرن كان فيه الكاتب الفرنسي غوستاف لوبون يقول «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب».

والواقع أن الشعوب العربية بالذات تشعر حاليا أنها غير مفهومة جيداً، بل مستباحة مصالحها وكرامتها نتيجة زهو العالم الغربي الديني والمدني بذاته.ونظرته غير المبالية بل المتعالية على كل ما هو ومن هو خارج العالم الغربي الأحادي القدرة والقيادة في العصر الأميركي القائم.

صحيح أن القضية الفلسطينية كانت وما تزال منذ زمن ساحة الظلم الأساسي اللاحق بالعرب ولكن هي ليست وحدها. فالحالة في لبنان خاصة وفي العراق ليست طبيعية ولا مقبولة ولابد هنا من القول إن لبنان رغم شيء من التماسك ورقيه في أداء حكومته وبرلمانه، بل رغم ما أبدته مقاومته وشعبه من مواجهة مشرفة للعدوان الصهيوني يشعر حالياً أنه على الأقل غير موضوع في موضعه من اهتمام العالم.

منذ مدة والأداء السياسي في لبنان متصف بدرجة عالية من الجدية والرقي. ومع ذلك فالخطر عليه والشيء الذي يدخل الى قلبه بعض الطمأنينة هو بعض مظاهر الفهم العربي لحجم مشكلته ومنها اجتماع الثنائي المصري - السعودي في المملكة الذي جاء يعكس في أواته الشعور بالمصير المشترك للأمة.

إن من يتفحص جيداً في الواقع العربي يجد أن الظاهرة الأهم في هذا الواقع المستهدف من إسرائيل وأنصارها الدوليين هي صحوة العقل السياسي الجمعي في كل من فلسطين ولبنان والعراق. ففي فلسطين أصبح شيئاً مؤكداً أن العمل السياسي هناك سيكون أشبه بعربة يسوقها جوادان «فتح» ابي مازن وشيح عرفات، و«حماس» هنية واخوانه. فكما كان عرفات والشيخ أحمد ياسين هما القيادتان التي استمر بهما العمل الفلسطيني منسقاً سنوات طويلة. كذلك التنسيق بين قطبي العمل الفلسطيني الواحد اليوم هو المؤهل لقيادة قاطرة العمل الفلسطيني الموحد.

ليس ذلك بالسهل طبعاً فالقوى المعادية للعرب ولفلسطين بالذات تعرف جيداً أن أي عمل سياسي ذي طابع توحيدي في أي بلد عربي سيكون قوة لفلسطين العربية التي جهدوا لإزالتها، ولكن خبرة النضال الفلسطيني الطويلة كفيلة بألا تترك الخلاف الحزبي يهدم المسار والهدف.

إن ثنائية التكوين السياسي لفلسطين بين القدس وغزة في الماضي أعطت برهاناً عن ضرورتها منذ أيام الحاج أمين الحسيني، الزعيم المؤسس للنضال ضد الانتداب البريطاني والصهيونية. فعلى الرغم من زعامته التي ما كانت لتجاري والتي انطلقت من القدس لتشمل فلسطين كلها، فقد اضطر وهو الأول في كل مكان أن يعترف بشرعية الوجود الخاص لمدينة غزة التي فرضها عليه الجيوبولوتيك (الجغرافية ا لسياسية) أختاً صغرى للقدس، فقامت هكذا في ظل الحاج أمين الزعيم المقدسي والشمولي حكومة أحمد حلمي باشا الفلسطيني الشركسي الأصل في غزة.

المصـــــدر : الرياض

التـــاريخ : 24-09-2006 العـــدد : 13971

الصفحـات : 9 المسلسل : 68

وهذا ما يتكرر اليوم، فيفرضه الواقع الفلسطيني اليوم على أبي مازن كبير فتح الذي يعرف جيداً ان ما فعله قبله الحاج أمين هو مدعو ان يفعله فيعترف بغزة اذا اراد أن ينجح وتنجح القضية الفلسطينية.

أما لبنان الوطن والدولة فمر ويمر ايضاً في ظرف هو أشد ما يكون فيه حاجة لإطلالة عربية عليا عليه كتلك المتمثلة اليوم في الثنائي السعودي المصري، وفي ظرف ما كان لبنان يمكن أن يكون الا وحدوياً في بنيانه، مسلم مسيحي، مسير بروح ميثاقه الظافر عام ١٩٤٣، هذا الميثاق الذي أمكن به للبلد الصغير أن ينتصر على فرنسا.

إن مبادرة سلام الأمير عبدالله في قمة بيروت كانت ولا تزال تمثل حالة عضوية لا لوحدة الصف العربي فحسب بل للوحدة داخل أي بلد عربي ايضاً. فسواء في لبنان أو في فلسطين أو في العراق أو في غيرها من البلدان العربية إلى حد أو آخر يشكل هذ السلام راية عصر جديد تدخله المنطقة العربية شاء الآخرون أم أبوا. وليس الأمر شديد الضرورة في فلسطين ولبنان والعراق فحسب بل هو كذلك لكل بلد عربي أو إسلامي، ولعلاقة العرب والمسلمين بالعالم الذي بات أكثر حساسية وأكثر استعداداً للتناقض والاختلاف كما أظهر كلام البابا وردود الفعل عليه.

ولقد تحول لبنان أحد أصغر الدول العربية الى ساحة تنعكس عليها نتائج الفارق بين سهولة التواصل التقني والتأثر المتبادل داخل العالم الواحد من جهة وقصور العقلية الوحدوية التوحيدية عند قادة هذا العالم من جهة ثانية. لقد توحد العالم بالوسائل التكنولوجية أكثر مما توحد في العقل والروح والخيار ومن هنا أهمية تحريك العمل العربي المشترك بمبادرات قادرة على غرار مبادرة التوافق المصري - السعودي الذي ظهر في اجتماع الرياض الأخير وقبله في جدة وشرم الشيخ، واذا كانت هناك من عبرة بارزة للعدوان الصهيوني على لبنان وحرية الحركة التي أخذتها إسرائيل لنفسها في الهجوم على بلد متعدد وغير صدامي مع الغرب فهي أن العالم العربي يفتقد دور المؤسسات الجامعة التي من شأنها تعطيل قدرة إسرائيل على اتخاذ القرارات التي تشاء في الوقت الذي تشاء.

إن هناك علاقة مباشرة بين حرية الحركة التي تعطيها إسرائيل لنفسها في مناسبة وغير مناسبة ونقص التفاعل العربي - العربي والتواصل الدائم بين العرب عبر مؤسسات موجودة أطرها القانونية والتنظيمية ولكن مشلولة وبالتالي فاقدة التأثير في مواجهة التجرؤ على بلدان عربية بارزة ومحورية كفلسطين ولبنان والعراق.

إن لبنان والمنطقة يعانيان خطر الحجم الجديد الذي بدأ يأخذانه في العالم بما يشكل تحدياً لحرية إسرائيل في تمديد عدوانها بلا رد دود فعل عالمية وجاء طوني بلير الى لبنان ليقول وهو يودع رئاسة الحكومة البريطانية شيئاً واحداً وهو انه وان كان يترك كرسي الحكم الا انه لا يزال يعيش في القلب من أحداث العالم المهمة فكل شيء آخر مما يجري في بريطانيا أو غيرها أقل أهمية ويجب أن يعتبر كذلك في مقاييس الساسة الجديين بالقياس الى ما جرى ويجري في لبنان حيث الصراع في عمق الأحداث بين الصهيونية والقومية العربية وحيث المواجهة بين السلام اللبناني الداخلي وسلام العرب من جهة ومخططات الغرب وامكانية افادته من الأحداث لما هو في صالح وراحة بال إسرائيل من جهة ثانية.

أراد بلير أن يكسب صورة السياسي الغربي الجدي اليقظ مما يجري في العالم فجاء في قمة عزلته في بلده ليحاول أن يقول لأبناء بلده: «غيري من الساسة البريطانيين منغمسون في المنافسات السياسية وفي الحظوظ في الوزارات، أما أنا فأعيش المشكلة الحقيقية وهموم الشعوب الضاغطة وهي هناك في الشرق الأن».. لعله يقلد أحد أسلافه في الساسة البريطانيين انطوني ايدن الذي عن طريق اهتمامه بشكوى الأحياش من الهجمة الإيطالية على بلادهم أحبه الانكليز واعترفوا له بأنه عرف ولو مرة بشاعة التعامل مع الشعوب بالتعالي عليها وانكار ما تعاني.

كان مجيء طوني بلير إلى بيروت في قمة عزلته السياسية في بلده في محاولة لتصوير نفسه أكبر من أن يتلهى فيما يتلهى به غيره من الساسة في بريطانيا.

حاول أن يكسب جدية باختياره المجيء إلى لبنان في الوقت الذي يجري فيه حديث عن وسائل مهمة كتدمر اللبنانيين من أطماع الصهاينة وأخطار السياسة الغربية التقليدية المتعالية على اللبنانيين.

بصراحة وبكل صدق لم يعد مقبولاً من أي عربي هذه الطريقة التي اتبعها بعض الغرب في التعامل مع شؤون العرب.. يجيئون إلى الشرق عندما يشعرون بحاجة إلى دور مسرحي في الشرق يكسبهم بريقاً ورد اعتبار في الغرب.

في حالة بلير بالذات ليست هذه الزيارة الحارة للرئيس البريطاني ما كانت لمغادر للمركز الكبير بل لمستقر فيه أو مقبل عليه.. ولعل الطعنة الأكثر إيلاماً لبلير هي التي جاءته من الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر الذي وصفه بأنه يكتفي بالسير على نهج السياسات الخارجية الأميركية بدلاً من دفعها إلى الاعتدال.. ففي مقابلة أجريت

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-09-2006 العـــدد : 13971
الصفحـات : 9 المسلسل : 68

مع كارتر في تلفزيون BBC قال: شعرت بخيبة أمل بسبب الخنوع الظاهر لسياسات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالكثير من الأخطاء الخطرة التي كان مصدرها واشنطن».

وأشار إلى الموقف البريطاني المؤيد لواشنطن في الحرب بين إسرائيل وحزب الله وإلى مشاركتها في الغزو الغربي الذي قادته الولايات المتحدة للعراق.. وأضاف كارتر «مهما تكن السياسة التي يقترحها البيت الأبيض راديكالية أو غير راديكالية يبدو لي ان بريطانيا العظمى تتبع السياسة نفسها».

فالمطلوب لبنانياً بشدة في الأيام المقبلة حكام وساسة في الدول المؤثرة تعاون الحكومة اللبنانية في حيز سياسي محدد بالذات هو تخليص الوجود البريطاني وغيره في المسألة اللبنانية من أي تهاون مع المحاولات الإسرائيلية لتمييع الهوية العربية للحل الدولي - اللبناني، فرئيس الحكومة الأجنبي الذي يتطلع إليه لبنان هو الشخص الصديق حقا العارف بتفاصيل الطبخة الدولية المهيأة بشكل يساعد في سد المنافذ أمام أي امكانية للأطماع الإسرائيلية في التقليل من مناعة لبنان أمام محاولات إسرائيلية تقليدية لتمييع الإرادة اللبنانية في التصدي لإسرائيل ورفض أي سلام معها غير مستكمل شروط المناعة الوطنية والعربية بحيث يكون لبنان ما كان يقال دائماً آخر قطر عربي يوقع صلحاً مع إسرائيل.

إن هذا المنطق ليس منطقاً متطرفاً بل هو منطق صمود تمسك به لبنان خلال كل العقود وقد أجمع على تثبيته في الواقع اللبناني والضمير اللبناني على مختلف العقود.

تزامنت زيارة الكبير البريطاني في حماسته للقضية اللبنانية مع تصريحات لرئيس جمهورية فرنسا المتوقع على الأغلب وزير داخليتها الحالي نقولا ساركوزي الذي في زيارته السياسية إلى الولايات المتحدة جعل من الحديث عن كيفية فهمه للأزمة اللبنانية ومواقفه منها والسبيل الذي يراها في طريقة حلها شبه تعريف بشخصه عند الرئيس الأميركي وأقرب معاونيه.. تصرف ساركوزي في الولايات المتحدة ونوع أحاديثه فيها وما قاله هناك لدى المقربين للرئيس، كله كان يوحي بأنه تعامل مع المراجع الأميركية والرئيس خاصة على أن الانحياز الأميركي لنجاحه في الترشح للمنصب الفرنسي الأرفع يتوقف على كيفية فهمه لما يدور الآن في لبنان والوسائل التي يتوحدها مفيدة في تثبيت الوضع اللبناني وفتح مجالات المستقبل.

لكأن ساركوزي كان يعتقد أن أميركا تحكم له وعليه كرئيس ممكن لفرنسا بقدر ما يبرهن عن فهم سليم للسياسة الغربية الأفيد في لبنان والأبعد عن الخطأ فيه، ذلك أن التعاون الفرنسي - الأميركي بشكل سليم هو الموصل المضمون لنجاح السياسة الأميركية في المنطقة لتصل إلى وضع مستقر من وجهة النظر الأميركية أو تنفلت في وجهها شياطين وكوابيس الفشل لها ولأصدقائها من حكام البلاد العربية والإسلامية ولاسيما إسرائيل.

لقد كان لبنان بسبب تعدديته الثقافية والطائفية يخشى أحياناً على استقلاليته من شعور بعض اللبنانيين العارم بعروبتهم، أما الآن وبعد الهجمة «الحبيبة» الدولية عليه فقد بات أكثر شعوراً بأن عروبته هي الحافظة للبنانيته.. وهذا ما ازداد رسوخاً في نفسه مع الحركة العربية الأخيرة في تأييده بقيادة الرياض والقاهرة والعرب الآخرين.